عارض متأخر عن الحروب والإهمال والعبث الأحمق بالتوازن البيئي

التلوث يهدد الحياة في ميسان.. وامكانات مواجهته محدودة !

حين انجبت امرأة من اهالي العمارة مولودا على هيئة سمكة في العقد التسعيني، وانجبت امرأة أخرى، طفلاً برأس كبير فقط وحوله أربعة عيون وله اقدام صغيرة كأنها اقدام زواحف.. لم يكن بامكان احد ان يتحدث عن التلوث والكوارث التي يمكن ان يخلفها على الانسان بعد ان يصيب محيطه البيئي بالدمار. التلوث البيئي اذن أحد العوارض المتأخرة للحروب والإهمال والعبث الأحمق بالتوزان البيئي.

ميسان/محمد الحمراني

في مديرية بيئة ميسان، التقينا المهندسة (ابتسام عزيز حسون) مديرة البيئة بالمحافظة التي أكدت ان دائرتها تنوء بتركة كبيرة من التلوث سببها لانظام السابق.. الذي لم يكن يسعى الى مكافحة التلوث البيئي، فقد كانت اغلب تصريفات المجاري تصب في النهر الرئيس للمدينة، واغلب شبكات الماء كانت رديئة ولا توجد عليها رقابة فعلية.. وبدا من الطبيعي آنذاك ان يرى المواطن أنواعاً. من الحيوانات الصغيرة الميتة داخل (الاسالات) وهذا ما تسبب باصابة الناس بالامراض والأوبئة كان أكثرها انتشاراً التسمم. علماً بأن المرحلة الماضية تؤكد مديرة البيئة كانت حافلة بالتجاوزات البيئية، ومنها وجود معامل طابوق قرب التجمعات السكنية، وكل ما فرضته عليهم السلطات السابقة هو أخذ غرامات مالية ثم سمحت لهم بالعمل.

قلت للسيدة ابتسام بأن محافظة ميسان تشتهر بكونها محوطة بالأهوار، التي دفنها النظام السابق: فما خططكم المستقبلية لاعادة الحياة إليها؟

فاجابت: حتى هذه اللحظة لا يوجد أي اجراء رسمي يهدف لإعادة الحياة الى الأهوار، ومع ذلك قمنا ببحوث اخذنا بها اراء عدد من سكان الاهوار، الذين هجّروا منها وكانت النتائج، ان هؤلاء السكان، نشأت لهم اجيال جديدة في المدن، وهم لا يرغبون في العودة الى الاهوار.. وتكونت لهم مصالح وارتباطات في المدن.

واضافت: وكذلك توجد خلافات بين بعض العوائل، التي استحوذت على اراض زراعية.. من ضمن مناطق الاهوار وهم الآن لا يرغبون بعودة الأهوار، لان ذلك يضر بمصالحهم.

كلام غير ملوث

كذلك التقينا المهندس (سمير عبود)، الذي سألناه عن كيفية معالجة ظاهرة الذبح في الشوارع العامة، وهل اختفت المجازر من المحافظة؟ فأجاب: توجد في محافظة العمارة ثلاث مجازر.. تقع تحت اشراف بلدية العمارة، المجزرة الكبيرة تقع في منطقة الماجدية في مركز المحافظة وثمة مجزرة في منطقة الكحلاء وأخرى في منطقة علي الغربي، وأغلب هذه المجازر نشأت في الخمسينيات من القرن الماضي وهي غير صالحة للاستعمال، الآن، وأكد: لقد وجهنا اكثر من انذار الى مجزرة العمارة ولكن ليست هناك معالجات بسبب انتشار ظاهرة الذبح على الطرق العامة وشراء المواطن اللحم غير المختوم واستدرك بالقول: ان حملة الاعمار اقرت في خطتها القادمة اعادة بناء مجزرتي الكحلاء وعلي الغربي.

وعلى صعيد التلوث الحاصل بالماء قال: بينت دراساتنا بأن نصف سكان المحافظة وخاصة سكان الارياف، يشربون الماء مباشرة من النهر.. اما الذين يسكنون المدن فيتزودون بالماء من شبكات اغلبها تالفة، وفي خطة المحافظة القادمة اعادة ترميم بعض الشبكات وبناء ١٩ محطة تحتوي على اجهزة جديدة للتصفية والتحلية.

وحين سألته عن التلوث الذي تسببه المجاري المكشوفة قال: لقد ابلغنا دائرة المجاري بضرورة الاسهام في الغاء المجاري المكشوفة لما تسببه من امراض واجابنا مدير مجاري ميسان بانه طرح هذا الموضوع على طاولة محافظ ميسان وهو يسعى الى حل سريع، هكذا انتهى كلامي مع المهندس سمير عبود، وعلى الرغم من قصر اللقاء فقد عرفت اشياء كثيرة ساختصرها بما يلي:

خطط عمل

لقد عرفت بأن مهمة دائرة بيئة ميسان.. رقابية وليست تنفيذية، فهي ترفع كشوفات بحق التجاوزات البيئية الى بغداد وتأتي من هناك العقوبات.

كذلك لاحظت بأن دائرة البيئة ربما تكون اصغر دائرة في المحافظة بالرغم من اهميتها العلمية (فكادرها) مؤلف من (١٢) موظفاً فقط، وهذا العدد لا يتناسب مع غزارة المشاكل البيئية في محافظة ميسان وكذلك لا يوجد في دائرة البيئة مختبر كمياوي يمكن ان تجرى فيه بعض الفحوصات، التي تحدد حجم التلوث.

وكذلك لا يوجد ممثلون لدائرة البيئة في النواحي والاقضية وليس ثمة خبراء في البيئة لديهم المعلومات الكافية في مجال اختصاصهم عن الرقعة الجغرافية التي تقع ضمن اطار عملهم، ولا اعرف لماذا قالت لي المهندسة، (ابتسام عزيز) حين سألتها عن ما تعانيه دائرتهم من نقص: لا نعاني أي شيء!

وأضافت : المسؤولون في بغداد يعرفون احتياجاتنا! وأنا في طريق المغادرة كنت اتمنى لو تصبح دائرة البيئة بحجم الدوائر الأخرى ربما لكانت قدمت خدمات تزداد حاجة الناس إليها الآن، فعنوان تقدم البلدان وتطورها اليوم يأتي من اهتمامها بالبيئة وعدم سقوطها في اقفاص التلوث.

وهي توقد شمعتها الثانية بنجاح

قراء يثنون وآخرون ينتقدون بمحبة

أكملت المدى سنتها الاولى من عمرها الصحفي، وإن كانت هذه السنة بالحساب العادي لا تمثل امتداداً زمنياً طويلاً لصحيفة جديدة، إلا انها امتازت بكونها (سنة عراقية) حفلت بالحركة والنشاط، وتوترات الاحداث التي هي منطقة جذب تقليدي للاعلام والصحافة من كل اتجاه وصوب. خلال هذه السنة العراقية المميزة تطاول عود المدى الغض، ليصل الى مديات تحسب بالسنين في اماكن وبلاد اخرى.كيف يرى القارئ العراقي جريدة المدى بعد سنة من صدورها؟ ما الذي يعجبه فيها، وما الذي لا يعجبه؟ ما موقع المدى بين الصحف العراقية الاخرى، وهل يمكننا ان نقول انها حققت اهدافها ، او الجزء الاساسي من اهدافها الاعلامية والثقافية؟للاجابة عن هذه الاسئلة كان لنا لقاء مع شريحة عشوائية من المواطنين، قراءاً وباعة صحف، واخرين.

نفس محايد

إقبال سامي / طالبة دكتوراه فلسفة ، الجامعة المستنصرية، قالت انها في العادة لا تتابع الصحف بكثرة بسبب انشغالها بالدراسة، وصلتها الوحيدة تقريباً بالصحف، هو ما يجلبه افراد اسرتها الى البيت من صحف متفرقة، ولكنها تعترف بأن المدى موجودة في البيت دائما، لذا يتهيأ لها ان تقرأها بصورة شبه منتظمة.

تقول اقبال ان المدى جريدة تستحق المتابعة، وتتميز بنفسها المحايد ، وثراء مواضيعها، خصوصاً المواضيع الثقافية التي تهتم بها بشكل خاص.

ثم تضحك اقبال سامي وهي تقول: من خلال متابعتي لاهتمام الاصدقاء اعرف ان هناك من يهتم بالمدى ويقرأها دائماً لأن لهم اصدقاء يعملون فيها، فيهتمون بمتابعة نتاجات اصدقائهم.

علي دخيل/ الطالب في الجامعة المستنصرية شاهدته يشتري المدى من كشك لبيع الصحف، سارعت لسؤاله عن سبب شرائه للمدى فقال، انه يتعامل بالقدر نفسه مع كل الصحف، وسبب شرائه للمدى هو طلب والده لهذه الصحيفة بالذات، فهو موظف متقاعد ولا يخرج من البيت كثيراً، لذا انوب عنه في حمل المدى اليه.

المطلوب.. صفحة عن المرأة

وترى هند احمد الطالبة في قسم الجغرافيا في كلية التربية ان متابعة الصحف بانتظام قضية مستحيلة، ولكنها لا ترى ميزة للمدى عن باقي الصحف، فكل الصحف ذات (ستايل) متشابه، ومن الصعوبة فرز صحيفة عن اخرى، فكلها تنشر الاخبار والتقارير والمقالات وما الى ذلك.

اما زميلتها ايات محسن فترى ان المدى هي الصحيفة الاكثر اناقة بين الصحف، وطباعتها جميلة، لكنها لا تركز على موضوعات المرأة، وهي تقترح انشاء صفحة عن شؤون المرأة، والاخبار الطريفة الخاصة بالمرأة حول العالم.

وتقول سندس عبد الرحمن انها تقرأ المدى بين وقت واخر حسب الظروف، وترى انها جريدة غير شعبية وذات طابع نخبوي، لكنها معجبة بصفحة المنوعات والاخبار الفنية والمقالات الخفيفة ذات النفس الساخر.

زبائن دائمون

حازم موسى ابراهيم صاحب مكتبة الامام الصادق مقابل الجامعة المستنصرية يقول ان المدى تأتي في المرتبة الثانية من ناحية طلب القراء، بعد جريدة الصباح، ويرى ان من اسباب شيوع المدى هو عدم نشرها للصور الفاضحة ، كما تفعل بعض الصحف، حتى انها في نشرها لبعض صور الفنانات تتقصد نشر صور محتشمة نوعاً ما.

ويكمل حازم موسى انه لا يشترك في بعض الصحف لأجل هذه القضية.

ويقول زميله احمد عبد المحسن انه يفضل شخصياً صفحة التقارير المترجمة وكذلك صفحة اراء وافكار، وهو معجب بالذات بالمادة التي نشرت في ثلاث حلقات في (اراء وافكار) عن سيد قطب.

ويقول حازم موسى ان الاساتذة الجامعيين وطلبة الدراسات هم الزبائن الدائمون في اقتناء المدى، وكذلك طبقة المثقفين، ويرى ان المأخذ الوحيد على المدى انها لا تميل الى التيار الديني، وهذا يضعف من حياديتها وسعة افقها ازاء كل التيارات والاتجاهات، فللتيار الديني ثقله في الشارع والمجتمع.

ويرى محمد حسن صاحب مكتبة الاداب الحديثة أن المدى تنفد سريعاً قياساً بالصحف الاخرى، ويقول انه يقضي وقتاً طويلاً امام التوزيع لكي يحصل على خمس نسخ زيادة، وهو ينصح بزيادة الطبع. ويرى محمد ان جريدة المدى ذات طابع فكري، وصفحة الرياضة فيها غير جيدة لأن اخبارها قديمة، وهو يرى ان المدى الرياضي جيدة وافضل بكثير من صفحة الرياضة في المدى اليومية.

بينما يرى احمد حسين صالح، وهو طالب كان يقلب الصحف بجوار مكتبة الاداب الحديثة انه مهتم كثيراً بكاركاتير مؤيد نعمة، حتى انه يجمع رسومه بملف خاص.

وفي العودة الى محمد حسن فهمنا ان الانتقادات العامة لجريدة المدى انها (ليست شبابية)، ومن اجل توضيح هذه الملاحظة، قال لي : ببساطة شبابنا يريدون اي شيء عن نانسي عجرم، والاكثار من صورها قدر المستطاع، وهذا ما لا توفره المدى لهم!

قراؤها ثابتون

ابو فراس هو اشهر بائع صحف في مرآب باب المعظم، حيث تمتد الصحف المنشورة على حبال على مساحة كبيرة حوله. يقول ابو فراس: للمدى مكانة لا تتزحزح لدى بعض القراء، بحيث يداومون على اقتنائها في كل الظروف والاوقات. وتحدث في بعض الاحيان ان تزداد نسبتهم حيث يكون هناك خبر ساخن في المدى، كما حدث مع موضوع كوبونات النفط، حيث ارتفع الطلب عليها الى حدود كبيرة، وارى ان اغلب المواضيع التي تنشرها المدى مهمة ورصينة.

وعن ترتيبها بين الصحف قال انها تأتي من ناحية الاقبال بعد الصباح، ولربما نافستها المشرق في بعض الاحيان، وارى ان سبب تقدمها هو ان جريدة المدى تتحرى المصداقية ولا تبحث عن الاثارة والفرقعة الصحفية، وهذا يتوافر في الصحف الاخرى.

ماذا يطلب ابو فراس من المدى في عيدها السنوي؟ سألناه فاجاب: اتمنى ان تسلط الضوء اكثر على القضايا الاجتماعية الراهنة، فالمواطن العادي يعتقد ان الصحفي قادر على الوصول الى اشياء لا يتمكن هو من الوصول اليها.

أما البائع الاخر في مرآب باب المعظم (ابو حسين) فيرى ان سحبها (اي المدى) قليل وهي تقف في المرتبة الثالثة من ناحية الاقبال على الصحف، ويرى ان المدى الرياضي (حلوة) وان المدى كانت في بداياتها افضل ، بل كانت من افضل الصحف، وهو يسأل: ارجو ان تعالجوا اسباب ذلك؟!

ويقول علي صدام، بائع الصحف عند مدخل المرآب: ان المدى هي اكثر الصحف مصداقية، وطباعتها فاخرة، تشبه طباعة الصحف العربية والعالمية، وهو يقرأ صفحات الاخبار والرياضة، وبحكم عمله يرى انها الجريدة الثانية في العراق.

أه .. من الصفحة الاولى

وفي مكتبة السعدون كان لنا لقاء مع عباس الشمري الذي قال ان افضل ما في المدى هو التحقيقات والمقالات ، برغم ان الجريدة بصورة عامة متميزة ومرغوبة من قبل القراء.

اما زميله عماد الحسناوي فيرى ان الصفحة الأولى غير جيدة، وان ما يجذب القارئ في العادة هو ما موجود من عناوين واخبار في الصفحة الاولى، وهذا ما يجعله يشتريها، ومن بين خمسين صحيفة يعرضها عماد يومياً امام مكتبته لا يضمن ان القارئ العادي سينجذب الى المدى من خلال صفحتها الاولى، لكن من يقرأها ويتابعها ستكون له وجهة نظر اخرى، بسبب اهتمامه بالصفحات الداخلية الاخرى.

ويرى عباس ان المدى قريبة من صحيفة الشرق الاوسط، في قوة مواضيعها، لكن الصفحة الاولى للشرق الأوسط اقوى.

احمد السعداوي

تحت الضوء..

الأهوار وأسماك القمامة

فالح الشلاه

لا يخفى على احد بان احياء وتطوير الاهوار جنوب العراق يدل على التفاعل الطبيعي والسليم المتعافي بين الانسان والطبيعة التي منحتنا هذا المنخفض الذي كان يغطي ما يقارب (٨) آلاف كم٢ من مساحة العراق يغذيها دجلة والفرات من الشمال والغرب لتتنفس المياه مداً وجزراً وتحقق توازناً بيئياً رائعاً بين المخلوقات الحيوانية والنباتية ولاجل ذلك تقدم العلماء والباحثون من منظمات حماية البيئة بجميع الاختصاصات لممارسة انشطتهم لاحيائها من الدمار الذي حل بها.

تسبب تجفيف الاهوار بارتفاع نسبة الملوحة الى درجة عالية، مما ادى الى ابادة شبه كاملة للثروة السمكية واختفاء الانواع الاصلية من اسماك المياه العذبة مثل الكطان والشبوط والبني التي تعتبر من التحف الثمينة في هذا المتحف الطبيعي الناطق بالحياة، ونتيجة لذلك ظهرت اسماك الكارب الآسيوي الاسود في المناطق المتبقية من الاهوار وباعداد هائلة وكأنها مزارع اسماك متغلباً وجوده على الانواع المحلية، ولهذا نذكر ذوي الاختصاص بما قد ينجم من مشاكل وخيمة من استمرار تكاثره ونؤكد ضرورة تحديد الاعداد والانواع الممكن اطلاق يرقاتها للسيطرة عليها عند الظروف الموجبة لذلك.

ان سمك الكارب القادم من بلاط الصين وجنوب شرق آسيا بانواعه المختلفة، لا تستطيع الاسماك العراقية (المحلية) منافسته لنموه السريع وقدرته على استغلال الغذاء، وكما ان شكل جسمه وامكانية تسويقه باحجام صغيرة ومذاق لحمه الجيد تشجع على تربيته في بقاع عديدة من العالم، اضافة الى تأقلمه مع درجات الحرارة المتفاوتة والملوحة المتغيرة، وبناء على ما تقدم يتوجب ان يخضع الى نظام التربية المغلقة (أي المزارع السمكية) لا أن يطلق في المسطحات المائية او الانهار، لأنه سيكون ذا تأثير سلبي على الانواع الأخرى من الاسماك المحلية وذلك لسرعة نضوجه الجنسي خلال عام من تاريخ فقسه عكس الأسماك العراقية كالشبوط والكطان التي تبلغ جنسياً بعد مرور ٤ سنوات من تاريخ فقسها، وكما ان لمبايض سماك الكارب خصوبة عالية اذ يبلغ معدل بيوضه الناضجة ٥٠٠ ـ ألف ١,٥ مليون بيضة (كما في الكارب العشبي) وسيؤدي تكاثرها الهائل وحجمها العددي لا محالة، الى انها ستفوق عددياً، خلال فترة وجيزة، الاسماك المحلية التي لا يمكن اكثارها إلا بحوافز بيئية (كالهجرة) وظروف حرارة طبيعية لا تتوفر في مزارع الاسماك. ومن الجدير بالذكر ان اسماك الكارب العشبي والسلفر كارب لا تتكاثر طبيعياً إلا في مواطنها الاصلية او بعملية التلقيح الاصطناعي المعمول به في الوقت الحاضر، ما عدا الكارب الآسيوي فان تكاثره الطبيعي هائل جداً. إذ كانت الاعشاب الضارة تعرف بانها نباتات تنمو وتتكاثر في غير مواقعها فان الحال بالنسبة للاسماك كذلك، بغض النظر عن قيمتها الغذائية او قابلية نموها وتكيفها للظروف البيئية والطبيعية، فما دامت ذات تأثير سلبي على المحيط المائي باحيائه النباتية والحيوانية فهي تعتبر (اسماك قمامة) يؤدي وجودها الى فقدان التوازن البيئي للانواع الاصلية من الاسماك. وبدراسة السلوك الغذائي لتلك الاسماك يمكن معرفة عاداتها في التغذية، وهذا ما يساعدنا على استغلال هذه الصفات للسيطرة على كائنات غير مرغوب فيها في ذلك الوسط المائي حيوانية او نباتية، سابحة او قاعية، فمن الممكن السيطرة على مرض الملاريا الذي تنقله بعوضة الأنوفيلس بإطلاق اسماك الكمبوزيا G. Affinis, للقضاء على يرقاتها، وكما في حقول الرز بامريكا يتم اطلاق اسماك رؤوس الثعابين للتخص من الاصبعيات اليافعة لاسماك البلطي حين تكون اعدادها كبيرة جداً، وفي هذه الحالة اصبحت حالة الافتراس ذا فائدة لموازنة بيئة المحيط المائي من فائضها السمكي، ونحن يمكننا استخدام اسماك الكارب الاسود الآسيوي cyprinus carpio في الاهوار لغرض التربية والقضاء على القواقع القاعية التي تعبر المضيف الوسطي لطفيليات تصيب الانسان كالديدان الخيطية والشريطية، ولكن شريطة وجود ضوابط متكافئة مع المحيط المائي، كما يمكننا القضاء على النباتات المائية في احواض التربية او في انظمة الري المغلقة والبزول باستخدام الكارب العشبي -cte nophyrangoden - idella لكفاءته في التهام النباتات المائية مما تقدم يتبين خطأ اطلاق الكارب العشبي بشكل عشوائي في اهوارنا بدون اجراء دراسات مستفيضة مبرمجة وموضوعية وهو خطأ، وسيؤدي إذا لم تتم معالجته، الى عواقب وخيمة وغير محمودة.

ستربك جميع الجهود والبرامج المعدة لاعادة الاهوار الى حياتها ونشاطها البيئي الطبيعي.

وللسيطرة على هذا النوع من الممكن حجزه في اقفاص خاصة للتربية او في خلجان مغلقة ومحددة مسبقاً داخل الهور، تشبك مداخلها بمشابك ذات فتحات لا تسمح بخروج يرقات الاسماك من خلالها، ويمكن استغلال صفاتها في سرعة النمو في التهام النباتات المائية التي لا تعتبر اعشاشاً للطيور المهاجرة او ذات قيمة مهمة على ان توضع في هذه المناطق المحددة علامات توضح وجود اسماك لغرض الصيد وبذلك نضمن مساعدة الصيادين العائدين الى مناطقهم في الحصول على رزقهم من الصيد في الوقت الحاضر.

ولكن هذا لا يتم إلا بتوعية جميع سكان تلك المناطق وصياديها بعدم صيد الاسماك العراقية واعادتها حال صيدها، وعدم استعمال القنابر وكهربة الماء بالاقطاب بهدف الصيد العشوائي وتأهيل الحياة الطبيعية لعالم الأهوار، ذلك المتحف البيئي الجميل بكل محتوياته الحياتية.